سينما

«لمحة مفاجئة لأشياء أعمق» لمارك كازينز

غياب الإنسانيّ في مقابل الفنيّ

يتناول «لمحة مفاجئة لأشياء أعمق» فصولاً من سيرة فنانة تشكيلية غير معروفة كثيراً، رغم أنّ أعمالاً عدّة لها مُثيرةٌ للاهتمام والمتعة

كارلوفي فاري
محمد هاشم عبد السلام

في جديده، «لمحة مفاجئة لأشياء أعمق»، حاول المخرج الوثائقي الإيرلندي المتميّز مارك كازينز، بصدق وإخلاص، إعادة الاعتبار إلى التشكيلية الاسكتلندية ويلهلمينا بارنز ـ غراهام، بتسليطه ضوءاً على أعمال فنانة لم تلقَ انتباهاً واهتماماً وتكريماً كثيراً في حياتها، ولا بعد وفاتها قبل عقدين، عن 91 عاماً.

يُعتبر «لمحة مفاجئة إلى أشياء أعمق»، الفائز بـ«الجائزة الكبرى» في مسابقة الدورة الـ 58 (28 يونيو/ حزيران ـ 6 يوليو/تموز 2024) لـ«مهرجان كارلوفي فاري السينمائي الدولي»، من نوع المقالة الإخبارية، التي تتحدّث عن فنانين عظماء منسيين، يستحقون إعادة اكتشافهم. إنّه رؤية بصرية وجمالية، جديدة وفريدة ودافئة، لأعمال فنانة مجهولة، وتعريف الجمهور بها، وبشذرات من حياتها، والتوقّف عند محطات متفرّقة في مسيرتها المهنية والفكرية، من دون التعمّق كثيراً في الذاتي والشخصي والإنساني.

بعد المُشاهدة، يتكوّن اطّلاع وإلمام بالفنانة، وبتفكيرها واشتغالها، وربما يحدث إعجاب بأعمالها. مع ذلك، هناك جهلٌ بكثير مما كانت عليه حياتها وواقعها ومسيرتها، هي المعروفة بـ«ويلي»، الاسم المحبّب لها، الذي استخدمته لتُخفي ماهيّتها كأنثى تُمارس الفن التشكيلي. ففي أربعينيات القرن الـ20 وخمسينياته، لم يكن العالم يرحّب كثيراً بممارسة الأنثى لهذا الفن، خصوصاً إذا كان تجريديّ الطابع.

ولدت ويلي في سانت أندروز عام 1912، لعائلة نبلاء. والدها مستبدّ للغاية، عارض بشدّة طموحها في أنْ تصبح فنانة، وهذا سبب تركها المنزل، وانتقالها إلى سانت آيفز، عام 1940، هرباً من عائلتها. هناك، وجدت مجتمعاً من الفنانين ذوي تفكير مماثل. على حياء، بدأت تشقّ طريقها بصمت، من دون الطموح في أيّ شيء، خلا ممارسة فنّها. لكنْ، كما يقول كازينز، اللحظة الأعمق والأكثر تغييراً في حياتها حدثت في زيارتها لسويسرا، عام 1949، عندما تسلّقت جبل غريندلفالد الجليدي. أذهلتها المناظر الطبيعية، وأمدّتها بإلهام لعقود عدّة.

حاول كازينز إظهار تأثير الرحلة على إنتاجها الإبداعي، باستعراض أغلب لوحاتها المنفّذة بين عام 1951 ونهاية السبعينيات الماضية. ثم استكمل استعراض أعمالها قبل نهاية الفيلم، انتهاءً بآخر لوحة لها (2002). إلى هذا، تروي تيلدا سوينتن مقاطع من مذكراتها. ويتضمن الفيلم أيضاً تسجيلات صوتية للفنانة نفسها، من دون لقطات أرشيفية مصوّرة لها. إضافة إلى ظهور لين غرين (مؤرّخة فنية ومؤلّفة سيرة الفنانة) وتعليقها الصوتي وشروحاتها اللافتة للانتباه.

> تسليط ضوء وثائقي بشكل محبّب على فنّانة شبه مجهولة

يقسم كازينز فيلمه إلى خمسة عناوين فرعية، تحاول الاقتراب من شخصيتها وأعمالها. أهمها، «عقل ويلي»، حاول فيه سبر أغوار عقل هذه المرأة الملهمة، الذي (عقلها) كان أساساً المدخل إلى فنها وعالمها. المثير للانتباه عشقها الغريب للرياضيات والأرقام والحروف، والنظام الذي ابتكرته لربط الألوان والحروف والأرقام، وتنفيذ لوحات بناءً على هذا الربط، في خطوة تجريدية وغريبة وجامحة.

من ناحية أخرى، لسبب أو لآخر، صرف كازينز النظر عن تقديم الفنانة كشخصية إنسانية ذات جوانب مختلفة. يمرّ أمام محطات مهمّة في حياتها، من دون التوقف عندها ملياً، ما يجعل المُشاهد يتمنّى لو أنّه استخدم معلومات سيرتها الذاتية بالبراعة نفسها لاستخدامه وتوظيفه لوحاتها وصُورها ومخطوطاتها ودفاتر مذكّراتها. اكتفى بالحديث شذراً عن والديها الصعبين والقاسيين، وتحوّلها لاحقاً إلى البهائية، وأفكارها عن حركة تحرير المرأة، ورفيقيها (زواج قصير الأمد من ديفيد لويس، ورفقة مع روان جيمس).

كعادته في أغلب أفلامه، خصوصاً لمن يتابعها ويألفها، ولا سيما تلك المهمّة للغاية عن تاريخ السينما والأفلام والمخرجين (أورسون ويلز وألفريد هيتشكوك وغيرهما)، لا يدهش كازينز بانخراطه في سرد روائي، وتورّطه في حبّ الشخصية وأعمالها، واستحواذه على التعليق الصوتي الممتد في الفيلم، رغم استعانته بصوت سوينتن، وإنْ كان انتقاله إلى تناول الفنّ التشكيلي لا يُقارن باحترافه في تناول السينما وتاريخها وروادها.

مقارنةً بأفلامه السابقة أيضاً، يمكن التشديد على أنّ ليس كلّ ما تضعه في فيلم ينجح ويصنع مفعولاً. مثلاً: مقطعٌ يشعر فيه بالقلق من أنّ لوحةً لويلي، اشتراها له صديقه في مزادٍ، مزيّفة؛ علاقة الوشم الرقمي على يده، وكيف كانت ويلي ستُحبّه، أو وشمه في نهاية الفيلم للوحة لها على كتفه. صحيح أنّ فنّها المُهمّش، بشكل غير عادل، يستحق الاحتفاء، لكنّ كازينز لم يقرّب المُشاهد من هذا بشكل كبير ومقنع. ففي النهاية، يصعب على غير متذوّقي الفن التجريدي الحكم بإنصاف.

رغم مثالب أخرى، خاصة بلقطات متكرّرة من دون فائدة، وما يتعلق بالإيقاع والتشويق، وكلّها تقتطع كثيراً من الرصيد الفني لـ«لمحة مفاجئة لأشياء أعمق» ومن جمالياته، جديد كازينز ضروري جداً لتسليطه الضوء بشكل محبّب على فنانة شبه مجهولة، ذات رؤية فنية وفكرية تستحقّ التوقّف عندها وتفحّصها.

ويلهلمينا بارنز ـ غراهام في «لمحة مفاجئة لأشياء أعمق» لمارك كازينز (الملف الصحافي)

«جانا: الروح الجميلة» لتشينزيا تيا توريني

سينما الألم في سيرة وفنّ وواقع

أشرف الحساني

في فيلمها الجديد، «جانا: الروح الجميلة» (2024، نتفليكس)، روت الإيطالية تشينزيا تيا توريني تفاصيل من سيرة المغنية والموسيقية الإيطالية جانا نانيني (الإيطالية ليتيتْزيا تووني)، المعروفة في الأوساط الفنية العالمية بموسيقى الروك. منذ المَشاهد الأولى، بدت رغبتها في القبض على بعض حياتها الشخصية، وإبراز صعوباتٍ جمّة اعترضت مسيرتها بصفتها موسيقية ومؤلّفة أغانٍ، في بيئة إيطالية متشنّجة، لها نظام موسيقي خاص.

لا شكّ في أنّ مُشاهِد «جانا: الروح المتمرّدة» يجد نفسه أمام فيلم سيرة بسيط، لا يفرض شيئاً عليه، بل يجعل الحكاية تنساب هادئة على شكل صُوَر وحوارات. عنصر السيرة واضح منذ البداية، ذلك أنّ رغبة تيا توريني بارزة بشكل أقوى في اتّخاذ شكل سرديّ عمودي واضح، يُتيح سرد الأحداث بطريقة تلقائية وسلسة، تتخلّلها أحياناً مقاطع بصرية بأسلوب الـ«فلاش باك»، ولقطات حالمة تُضمِر بعض الحميمي في سيرة جانا. لذا، تأخذ السيرة فعلاً وجودياً، يتحكّم بمفهوم الشكل، ويقود الصورة ميكانيكياً إلى محاكاة السيناريو (كتابة تشينزيا تيا توريني وجانا نانيني، مع دوناتيلا ديامنتي وكوزيمو كالاميني).

إذا اعتمدت تيا توريني على بيوغرافيا تقليدية، فالموضوع، السيرة بالنسبة إليها أهمّ من الشكل. فالمُشاهد يشعر كأنّها تُريد، منذ البداية، عدم تجاوز مرحلة واحدة من حياة المغنية والموسيقية، لوعيها بقيمة سيرتها الحياتية، في مراحل عدّة، فتُقدّم معلومات ومشاعر وأحاسيس وبيئة وذاكرة ونسقا. وبالتالي، فلكلّ مَشهد أهمية، لتكوّنه من نسيج مُركّب من الصُوَر، التي تُكمِل كلّ واحدة منها الأخرى.

ليتيتْزيا تووني: من الروك إلى أنماط موسيقية سريعة (الملف الصحافي)

> تركيب بصري يعطي «الروح المتمردة» هندسة بصرية قويّة

هذا النمط من التركيب البصري يعطي الفيلم هندسة بصرية قويّة، يتحكّم فيها مفهوم السيرة الحياتية وقوّتها وجمالياتها وأثرها في الذاكرة الغنائية العالمية. الصورة في «جانا: الروح المتمرّدة» تُضمر أكثر من كونها تُظهر، لكشفها أشياء حميمة مذهلة، ترتبط بجسد جانا وعلاقتها بآخرين حولها. كما يُفرد الفيلم أكثر من نصفه لعائلتها، الرافضة أنْ تصبح مغنّية وعازفة. لذا، فالصورة السينمائية متنوّعة، تستمدّ طاقتها من منابع كثيرة تتّصل بالطفولة والواقع والذاكرة. هذه ينابيع تعطي لتيا توريني إمكانات مذهلة في التخييل. أمرٌ بحدّ ذاته يُؤثّر في الخلطة السردية، ويجعل الصُوَر متنوّعة ومدهشة وممتعة. وحين تكون منابع الصُور مختلفة، يؤثّر هذا إيجابياً على الصورة السينمائية، ويجعلها مركّبة وذات أثر بالغ في وجدان المتلقّي.

بين المحافظة على الهوية الغنائية الإيطالية ونسيانها، تُكرّس جانا نانيني سيرتها الفنية كما تحلم أنْ تصبح عليه موسيقى الروك، علماً أنّ «جانا: الروح المتمرّدة» ركّز بشكل قويّ على ثمانينيات القرن الـ20، وهذه مرحلة تاريخيّة مهمّة، تمثّل الصعود الجماهيري للمغنية، التي كانت تحاول دائماً أنْ تنبع أغانيها من ألمها الشخصي، أيْ من قصص ذاتية تكتبها وتلحّنها، قبل إيجاد قالب موسيقيّ لها.

لكنّ تصاعد الأنماط الموسيقية السريعة، في إيطاليا وأميركا، ألزم المغنّية عبر شركات الإنتاج مُسايرة الموجة الموسيقية الشبابية، التي بدأت تكتسح إيطاليا حينها. ولأنّ الفيلم روائي لا وثائقي، بدت مَشاهد منه كأنّها تُوثّق مراحل عصيبة مرّت منها جانا مع العائلة والأصدقاء والجمهور وشركات الإنتاج، لفرض هذا النوع الموسيقي بالطريقة التي تُريد. فالموسيقى بنظرها مشاعر ونَفْسٌ وألم، قبل أنْ تكون نوتات.

أفلام جديدة

■ La Recreation De Juillet لبابلو كوتّان وجوزف روزي، تمثيل ألبا غايا بلوجي (Getty) وألَسَان ديونغ وأركادي رادِف: بعد وفاة شقيقته التوأم، يجمع غاسبار، مُدرّس الموسيقى الشاب، خمسة من أفضل أصدقائه السابقين معاً في الكلية المهجورة التي شهدت أعوام المراهقة، وذلك في منتصف يوليو/ تموز. في هذا المكان، المليء بذكريات وحزن، يعود الأصدقاء تدريجياً إلى طفولتهم.

■ Le Roman De Jim لجان ـ ماري وأرنو لازّيو، تمثيل كريم لوكلو ونُوِي أبيتا (Getty) وبرتران بلان: في سهرة في Haut - Jura، يلتقي أيْمِريك صدفةً بفلورنس. إنّها حامل في الشهر السادس، وعزباء. عند ولادة جيم، كان أيمِريك موجوداً، فهما أمضيا معاً أعواماً عدّة كانت، بالنسبة إليهما، رائعة للغاية، إلى أنْ جاء كريستوف، الوالد الطبيعي لجيم، فجأة، فيتبدّل كلّ شيءٍ بسرعة غير متوقّعة.

■ Sons لغوستاف مولر، تمثيل سِسَاي بابتْ كُنودسن (الموقع الإلكترونيَ لـ«برلينالـه 2024): إيفا شرطية تعمل في قسم سجناء محكوم عليهم بسبب تهم «بسيطة». وظيفتها روتينية، تؤدّي أحياناً إلى تأسيس علاقات أكبر من ثنائية مجرم ـ حارس. ذات يوم، تكتشف أنّ ميكِلْ منقولٌ إلى السجن نفسه، لكنْ في قسم آخر، يختصّ بالمجرمين العنيفين، فتطلب نقله إليه فوراً، لتبدأ سلسلة صدامات بينها وبينه. تُرى، ما العلاقة بينهما؟

■ Pendant Ce Temps Sur Terre لجيريمي كلابن، تمثيل مِغان نورثام (Getty) وكاترين سالي وسام لوويك: إلسا (23 عاماً) قريبة جداً من شقيقها الأكبر فرانك، رائد فضاء اختفى في ظروف غامضة قبل ثلاثة أعوام، أثناء تنفيذه مهمّة فضائية. في أحد الأيام، يتّصل بها شخصٌ لا تعرفه، يُخبرها أنّه في الفضاء وأنّ له شكلَ حياة غير معروف. الأهمّ تأكيده لها أنّه قادر على إعادة شقيقها إلى الأرض. لكنْ، هناك ثمن يجب دفعه.

■ Vermines لسيباستيان فانيساك، تمثيل تيو كريستين وصوفيا لوسافر (Getty): يعيش كالِب في مبنى سكني شاهق، في ضاحية باريسية. بعد صراع مع أعزّ أصدقائه وشقيقته، يمرّ بفترةٍ من الوحدة. شغوفاً بالحيوانات الغريبة، يعثر على عنكبوت سام، فيُقرّر نشر أنواعٍ كثيرة منه في المبنى برمّته. بعد عزلهم، يجب على السكان مواجهة العناكب التي يتزايد حجمها وعددها.